صفحات من التنسيق الأمريكي - البريطاني لتأسيس عصبة الأمم

أ.د. صادق حسن السوداني
كلية الآداب - جامعة بغداد

لم يكن الأمريكان ، على المستويين الرسمي والشعبي ، أقل حماسة من البريطانيين لإقامة عصبة أمم للحفاظ على الأمن والسلام الدوليين ، على الرغم من أن البريطانيين سبقوا الأمريكان في طرح فكرة إقامة منظمة عالمية سنة ١٩١٤ . ففي آذار (مارس) ١٩١٤ ، أي قبل أندلاع الحرب العالمية الأولى بخمسة أشهر ، دعا وزير الخارجية البريطاني السير ادوارد كرى Sir Edward Grey (١٨٦٢-١٩٣٣ / ١٩٠٥-١٩١٦)[*] إلى اقامة نظام عالمي للأمن والنظام، والا فإن الخوف "سوف يرابط أمام أبوابنا"[١] . وبعد أندلاع الحرب بأسبوعين تقريباً ، أي في ١٥ آب (أغسطس) ١٩١٤ ، أعلن الأديب البريطاني الشهير هربرت جورج ويلز Herbert George Wells (١٨٦٦-١٩٤٦) - الذي اشتهر بروايات الخيال العلمي مثل آلة الزمن (١٨٩٥) وحرب العوالم (١٨٩٩) وغيرها - أن الوقت قد أزف لأقامة عصبة للسلم Peace League لتحكم العالم[٢] .

وفي أيلول (سبتمبر) ١٩١٤ نشر لوس دكنسن ، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة كمبردج ، ما يمكن عدّه أول خطة مفصلة "عن عصبة أمم أوروبية دائمة تضم مجلسا مركزياً مفتوحا لجميع الدول يتحكم بالقوات المسلحة للدول الأعضاء وتكون قراراته واجبة التنفيذ[٣] . فضلا عن طروحات مماثلة من لجنة ترأسها اللورد جيمس برايس . وفي ٣ مايس (مايو) ١٩١٥ تأسست جمعية باسم "جمعية عصبة الأمم The League of Nations Soceity" . وتبنت اهدافا في اجتماع لها يوم ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ من بينها تشكيل عصبة أمم تلزم الدول

المنضوية تحت لوائها باستعمال الوسائل السلمية لحل الخلافات الناشبة فيما بينها ، واتخاذ الإجراءات الضرورية بحق كل عضو لا يلتزم بذلك ، بما في ذلك الإجراءات الاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية ، وأن تكون العصبة مفتوحة أمام كل الدول المتمدنة الراغبة في الانضمام[٤] .

وفاتح كريي الكولونيل (العقيد) إدوارد هاوس Edward House (١٨٥٨-١٩٣٨) مستشار الرئيس الأمريكي الديمقراطي وودرو ولسن Woodrow Wilson (١٨٥٦-١٩٢٤/١٩١٣-١٩٢١) بموضوع العصبة عند وصوله لندن في شباط (فبراير) ١٩١٥ . وأعلن هاوس ، بعد ألحاح من كرى ، عن أمكانية اقامة نظام لحفظ السلام في عالم ما بعد الحرب ، الأمر الذي أشعر كرى بالغبطة. ولكن بعد تدهور العلاقات الأمريكية - الألمانية أثر اغراق السفينة التجارية الأمريكية لوبز تانيا في ٧ آذار ١٩١٥ صار موضوع دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء وعصبة الأمم الموضوعين الرئيسين في مراسلات كرى - هاوس . وفي رسالة كرى إلى هاوس بتاريخ ١٠ آب (أغسطس) ١٩١٥ أكد كري أنه لابد من أقامة عصبة أمم يمكن التحويل عليها لفض النزاعات بين الدول بالطرق السلمية . وفي ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ كتب كرى إلى هاوس متسائلا هل أن الولايات المتحدة مستعدة للأنضمام إلى مثل هذه العصبة . وحمل هاوس رد حكومته إلى الحكومة البريطانية حين عاد إلى أوربا في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ إذ قال أن توجيهات الرئيس ولسن له هي أبلاغ المتحاربين بأن السلام ممكن إذا قام على ركنين : الأول نوع السلاحين البري والبحري ، والثاني اقامة عصبة أمم لتحول دون وقوع عدوان وتضمن حرية كاملة للملاحة في البحار. وفي ١٠ مايس (مايو) ١٩١٦ بلغ هاوس كري بأن الرئيس ولسن راغب بأن يلزم الولايات المتحدة علنا بعصبة للأمم . وفي ٢٧ مايس (مايو) ١٩١٦ خطب ولسن مؤكدا ضرورة إنشاء عصبة أمم لغرض السلام[٥] .

أن قبول الرئيس ولسن بفكرة العصبة لقيت ترحيبا كبيرا من كثير من المجموعات السياسية في بريطانيا والولايات المتحدة . بل أن كري قال في رسالة إلى هاوس بتاريخ ٢٨ آب (اغسطس) ١٩١٦ "ما لم تكن الولايات عضوا في عصبة الأمم ، بل عضو يمكن الأعتماد عليه ليتدخل ضد الحاجة ، فأن السلام العالمي لن يكون أكثر اماناً في المستقبل عما كان عليه في ١٩١٤" . ولكن حماسة كري للعصبة لم يكن يشاركه فيها كل من هربرت أسكويث Herbert Asquith رئيس الوزراء البريطانية (١٨٥٢-١٩٢٨/١٩٠٨-١٩١٦) ووزير بحريته آرثر جيمس بلفور Arthur James Balfor (١٨٤٨-١٩٣٠/١٩١٥-١٩١٦) ، إذ لم يبد الأول غير اهتمام ضئيل بها ، في حين شكّك الثاني بقدرتها على حفظ السلام[٦].

وبنهاية ١٩١٦ أدّت فكرة عصبة الأمم دورا مركزيا في العلاقات الأنكلو-أمريكية خلال السنتين الأوليتين من الحرب . فقد استغل كرى بحذاقة فكرة العصبة لمد جسور قوية مع الولايات المتحدة المحايدة ، بل أن فكرة العصبة أدّت دوراً في إقامة شراكة أطلسية بين الدولتين بقصد خلق عالم جديد متوازن من حيث القوة[٧].

ولم يكن الأهتمام الشعبي أو غير الرسمي الأمريكي بفكرة العصبة بأقل من الاهتمام الرسمي أو الحكومي . فقد تأسست مجموعة ذات أهداف مماثلة لأهداف جمعية عصبة الأمم ، بمبادرة من هاملتن هولت زعيم جمعية نيويورك للسلام ورئيس تحرير صحيفة الأندبندنت Independent . ففي ربيع ١٩١٥ قام هولت مع مجموعة من أعضاء الحزب الجمهوري البارزين - من بينهم الرئيس الأمريكي السابق وليم هوارد تنافست (١٨٥٧-١٩٣٠/١٩٠٩-١٩١٣) ، ورئيس جامعة هارفارد Harvard لورنس لول Lowell ، والسفير الأمريكي السابق في بلجيكا تيودور ماربرغ - بتشكيل "عصبة فرض السلام The League to enforce peace . برنامجها قام على أساس مشاركة الولايات المتحدة في عصبة أمم على وفق الضوابط الآتية :

١ - كل ما يبرز من قضايا بين الدول الموقعة ولا يمكن حلها بالتفاوض تعرض على محاكم قضائية .

٢ - جميع القضايا الأخرى التي تبرز بين الدول الموقعة ولم تحل بالتفاوض تحال إلى مجلس للتوفيق لدراستها وأصدار توصياته بشأنها .

٣ - تستعمل الدول الموقعة ، موحدة ، قواها الاقتصادية والعسكرية ضد أية دولة تلجأ إلى الحرب ، أو تبدأ بأعمال عدوانية متجاهلة المادة "٢" أعلاه.

٤ - تعقد مؤتمرات للدول الأعضاء بين آونة وأخرى لصياغة قواعد القانون الدولي .

وعلى الرغم من أن قيادة عصبة فرض السلام كانت جمهورية ، فقد أيد القضية عدد من القادة الديمقراطيين البارزين . والأهم من هذا أن الرئيس ولسن ، وهو ديمقراطي ، أختار منصة أول مؤتمر قومي للعصبة ، عقد في مايس (مايو) ١٩١٦ لأعلان ألتزامه بقضية العصبة ، مؤكداً أن بلاده ستكون شريكا في إقامة أية جمعية للأمم في المستقبل المنظور ، هدفها الحيلولة دون نشوب حرب[٨] .

وبحلول ١٩١٦ وعلى الرغم من الاختلافات في خططها المقترحة ، اتفقت مجموعة اللورد برايس ، وجمعية عصبة الامم والفابيون[*] وعصبة فرض السلام على أطار يجمع بين طروحاتها ، هذا الأطار احتوى على ثلاثة معالم أساسية :

١ - الاتفاق على إحالة الخلافات أو النزاعات ذات الصفة القانونية إلى محكمة دولية وغيرها من النزاعات إلى مجلس دولي . وتتعهد الدول المعنية بالنزاع بعدم ممارسة أية أعمال حربية طالما كان النزاع أو الخلاف معروضا على المحكمة أو المجلس .

٢ - إقامة مؤسسات دائمة كمجلس دولي ومحكمة دولية لفض الخلافات وتعزيز التعاون الدولي .

٣ - وضع الخطط اللازمة لعمل جماعي اقتصادي أو عسكري من الأعضاء ضد المعتدي ومن أجل توفير الأمن للدول المحبة للسلام[٩] . أي بمعنى آخر فرض السلام بالقوة .

على الرغم من المصاعب التي صاحبت فكرة فرض السلام بالقوة جماعياً، فأنها لقيت تجاوبا بعدّها الطريقة الوحيدة التي تجنب العالم كارثة مفاجئة . وحين تحمس لها الرئيس الأمريكي ولسن صار احتمال قبولها دوليا أمراً مؤكداً أو شبه مؤكد . وسرعان ما أصبحت فكرة انشاء عصبة للأمم تؤدي دورا مركزيا في تعزيز العلاقات الأمريكية - البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى[١٠] . ويمكن القول أن الاهتمام البريطاني الرسمي بالفكرة لم يأخذ اتجاها إيجابياً وجدياً إلا أرضاء للرئيس ولسن لضمان أنحياز بلاده لصالح الحلفاء في الحرب ، ولتكون فكرة العصبة الأساس الذي تقوم عليه الثقة المتبادلة بل التعاون بين الدولتين . على الرغم مما رأيناه من حماسة كرى للفكرة على الرغم من أن رئيس الوزراء / سكويث ووزير بحريته بلفور لم يشاركاه تلك الحماسة .

وبعد تشكيل وزارة بريطانية جديدة في ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦ برئاسة ديفيد لويد جورج David Loyed George (١٨٦٣-١٩٤٥/١٩١٦-١٩٢٢) تخلف وزارة اسكويث ، ازداد اهتمام الحكومة البريطانية بفكرة العصبة أرضاء لولسن وكسبا لوده ، ولاسيما أن احتمالات دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء أصبحت أكثر رجحانا ، وشمل ذلك بلفور وزير الخارجية في الحكومة الجديدة بعد أن كان يتخذ موقفا غير متحمس للفكرة عندما كان وزيرا للبحرية كما رأينا . وبدأ ذلك واضحاً حين نصح هو واللورد روبرت سسل Robert Cecil ، وكيل وزارة الخارجية للشؤون البرلمانية وعضو مجلس الوزراء كوزير لشؤون الحصار منذ شباط (فبراير) ١٩١٦ ، حكومتهما بأظهار تعاطف أكبر مع رغبة ولسن المتعلقة بإقامة عصبة أمم ، وفي الوقت نفسه

المطالبة بضمانات أمريكية خلاصتها أن الإدارة الأمريكية لديها الرغبة والقوة لدعم قرارات العصبة عسكرياً[١١] .

وأزداد أهتمام الرئيس ولسن بحركة عصبة الأمم سنة ١٩١٧ ، ولاسيما بعد دخول الولايات المتحدة إلى جانب الحلفاء يوم ١ نيسان (أبريل) ١٩١٧ . وفي هذا الوقت صار ولسن الداعية الحقيقي لحركة العصبة .

وفي ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ أعلن الرئيس ولسن نقاطه الأربع عشرة The Fourteen points الشهيرة التي أكدت حق تقرير المصير ونبذ المعاهدات السرية . ولكن النقطة الأخيرة أكدت ضرورة اقامة رابطة دولية للأمم ذات مواثيق محددة لضمان الاستقلال السياسي والسلامة الاقليمية للدول الكبيرة والصغيرة الأعضاء فيها على حد سواء .

وهكذا صارت مدة عصبة الأمم - بحلول ١٩١٨ - مركزية في التوجهين البريطاني والأمريكي كأستجابة لبرالية لمآسي الحرب من جهة والخوف من الثورة من جهة أخرى ، ولاسيما أن وأن "أيام تسوية فينا أصبحت جزء من الماضي الغابر" كما قال لويد جورج يوم ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ ، وأن "أيام الفتح والتوسع والمواثيق السرية ولّت" كما أكد ولسن يوم ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨[١٢] .

لكن على الرغم من الانسجام الواضح بين الحكومتين البريطانية والأمريكية بشأن فكرة العصبة ، فأن الخلاف في التفاصيل كان موجودا ، فعلى سبيل المثال دعا اللورد جورج كيرزن (١٨٥٩-١٩٢٥) ، عضو وزارة الحرب المصغرة ، إلى إمكانية قيام عصبة الأمم المتحالفة ، مؤكدا الأعضاء مجلس اللوردات ، الذي كان يناقش فكرة العصبة في آذار (مارس) وحزيران (يونيو) ١٩١٨ ، أن حكومته جادة في مسعاها لخلق مثل هذه العصبة . وقال إذا لم تتجسد الجهود لإقامة عصبة أمم واسعة لتشمل جميع الدول فأن العصبتين القائمتين فعلا والمتمثلتين بالإمبراطورية البريطانية بأجزائها الكثيرة المتناثرة وعصبة الأمم المتحالفة (يقصد

بذلك التحالف القائم بين الحلفاء ضد دول الوسط) بأمكانهما توفير النواة التي يمكن أن تنطلق منها . ولكن الرئيس ولسن كان ضد فكرة إقامة عصبة للدول المتحالفة بل ضد أية عصبة تقوم مستندة إلى المؤسسات القائمة أثناء الحرب[١٣].

وفي ٤ تموز (يوليو) ١٩١٨ أعلن الرئيس ولسن أهدافه الأربعة The Four Ends الخاصة بالحرب . وجاء الهدف الرابع ليؤكد "ضرورة اقامة منظمة للسلام تجمع الأمم الحرة لحل المشاكل الدولية بالطرق السلمية ، ومن لا يقبل قراراتها سيعاقب"[١٤] .

وفي ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١٨ أعلن ولسن ، في ضمن خطبة له ، ما عرف ببنوده الخمسة The five particulars . جاء في البند الثالث "لن تكون هناك عصبات أو تحالفات أو مواثيق أو تفاهمات خاصة ضمن العائلة العامة المشتركة لعصبة الأمم" . أما البند الرابع فقد أوضح بشكل أكثر دقة "عدم جواز وجود تحالفات اقتصادية أنانية خاصة داخل العصبة ، ولا استغلال لأي شكل من أشكال المقاطعة الاقتصادية أو الإقصاء ، الا كعقوبة تفرضها العصبة ذاتها كأسلوب من أساليب الضبط أو التأديب"[١٥] .

وبعد انتهاء الحرب في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، تقرر عقد مؤتمر للسلام في باريس يوم ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ . وفي الأسبوع الثاني من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ اجتمع ممثلو الدول الخمسة الكبرى المنتصرة (الولايات المتحدة ، بريطانيا ، فرنسا ، اليابان ، ايطاليا) للتمهيد لذلك المؤتمر . وعندما اجتمع مجلس العشرة[*] يوم ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ وافق لويد جورج على مقترح ولسن بأن يناقش موضوع العصبة أولاً . وفي ٢٢ كانون الثاني (يناير) وافق مجلس العشرة على ثلاثة قرارات تخص العصبة من أجل تقديمها لجلسة مؤتمر السلام المنعقدة بكامل أعضائها . اشترطت هذه القرارات أولاً : أنه من أجل إقرار السلام ، فأن التسوية العالمية المقبلة تستدعي خلق عصبة للأمم لتعزيز التعاون الدولي وضمان إنجاز الالتزامات الدولية

والحيلولة دون وقوع حرب ، وأن يكون ميثاق عصبة الأمم جزءاً لا يتجزأ من معاهدات السلام . ثانياً : أن تكون العصبة مفتوحة أمام جميع الأمم المتمدنة التي يمكن الاعتماد عليها لتحقيق أهداف العصبة ، وان يلتقي أعضاء العصبة دوريا في مؤتمرات دولية ذات تنظيم عالمي دائم وسكرتارية . ثالثاً : وأخيراً تم الاتفاق على تعيين مؤتمر السلام لجنة تمثل الحكومات المتحالفة لأعداد ميثاق للعصبة . وفي ٢٥ كانون الثاني (يناير) وافق مؤتمر السلام ، في جلسة مكتملة الحضور ، على القرارات أعلاه ، وتشكيل اللجنة المطلوبة[١٦] .

عيّن الرئيس ولسن ، الذي أصر على أن يكون ميثاق العصبة جزءاً من تسوية السلام ، رئيسا للجنة أعداد ذلك الميثاق . ضمت اللجنة عضوين أثنين من كل من الولايات المتحدة ، الأمبراطورية البريطانية ، فرنسا ، إيطاليا ، اليابان . وعضو واحد من كل من بلجيكا ، البرازيل ، الصين ، البرتغال ، صربيا، اليونان، بولندا ، رومانيا ، جيكوسلوفاكيا . قدمت اللجنة المؤلفة من تسعة عشر عضوا ، لمؤتمر السلام الصيغة التي أقرتها لمشروع الميثاق يوم ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٩، أي بعد عشرين يوما من تشكيلها[١٧] .

ومما يجدر ذكره أن من بين أعضاء اللجنة المذكورة فضلاً عن ولسن ، اللورد روبرت سسل ، ليون بورجيه(*) ، الجنرال جان كريستيان سمطس(**) فيتوريو اورلاندو(***) وغيرهم[١٨] .

ولكن المقترحات التي قدمت للجنة الصياغة ، بعد طرحها مشروع الميثاق، فضلاً عن الرغبة في تحاشي أي تناقض مع مواد معاهدة فرساي . وهكذا تم تعديل مشروع الميثاق ، وتم تبني التعديل في المشروع المعدّل للميثاق يوم ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩١٩ الذي أقره مؤتمر السلام بالاجماع في هذا اليوم[١٨] .

وكان ولسن قد شدد قبل تمديد القرارات الثلاثة الآنفة الذكر على أن العصبة يجب أن تكون قطب الرحى في كل جهود المؤتمر ، وحذر من أن فشل العصبة يعني أن تحقيق السلام الدائم أمر غير ممكن ، ويعني أيضاً عدم اشتراك

الولايات المتحدة في أية ضمانات للتسوية في أوربا . ولكن بعد تمرير القرارات أعلاه عدّ ولسن ذلك أمراً تكتيكياً كبيراً .

وعند مناقشة مشروع الميثاق نقرر في البداية استثناء الدول التي كانت في معسكر الوسط من دخول العصبة حتى يتم التوصل إلى سياسة مغايرة . شدد مشروع الميثاق على أهمية الدور الذي يلعبه المجلس (مجلس العصبة) ، وتقرر ان يضم الدول الكبرى المنتشرة في الحرب (الولايات المتحدة ، بريطانيا ، فرنسا، إيطاليا ، اليابان) ويجتمع كلما تطلب الأمر ذلك ، على أن يعقد اجتماعاً واحداً سنوياً في الأقل . يكون المجلس مسؤولاً عن ضمان نجاح عمل عصبة الأمم ، وتوفير التعاون القائم على الانسجام بين الدول الأعضاء في العصبة . ألقيت مسؤولية خاصة على المجلس هي تنمية وتطوير الدول الجديدة التي سيتمخض عنها المؤتمر وتسوية جميع الخلافات التي تقع بينها . افترض المشروع من دون موازنة بأن الهيمنة على الشؤون الدولية ستبقى بمتناول أيدي الدول الكبرى الآنفة الذكر[٢٠] .

وفي ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ألتقى اللورد سسل مع الرئيس ولسن، بناء على دعوة الأخير ، لأطلاعه على خطته بشأن العصبة . كما أن سسل كان حريصاً على معرفة ما يدور في ذهن الرئيس من أفكار . كان أول أنطباع كونّه سسل عن الخطة انها في معظمها دمج لمقترحات سبعة أن قدمها الجنرال سمطس واللورد والتر فيلمور[*] كل على انفراد ، ولا أفكار جديدة منيا من الناحية العملية. الخطة تسلّط الضوء على عصبة مقسمة إلى ثلاثة أجهزة رئيسة : هيئة عامة للمندوبين تتألف من المندوبين المعتمدين لدى الدولة التي كانت ستحتضن مقر العصبة ، مجلس تنفيذي يضم ، كما جاء في مقترحات سمطس ، أغلبية ضئيلة جداً من الدول الكبرى ، مع دول ثانوية صغرى يتم اختبارها سنويا بشكل متناوب من مجموعتين من المرشحين ، وسكرتارية دائمة . أكد الرئيس بحماس الضمان الأمني الرصين للاستقلال السياسي والسلامة الأقليمية . أستناداً إلى المادة الثالثة

من الخطة ، أن الأطراف المتعاقدة تتحد في ضمان ذلك الاستقلال وتلك السيادة لكل واحد منها ضد أي عدوان خارجي ، وفي الوقت نفسه قبول أية تعديلات في الحدود ، شريطة أن تكون مقبولة من الأطراف المعنية ولما فيه صالح السلام . حذا الرئيس بدقة حذو سمطس في مقترحاته الخاصة بنزع السلاح والحل السلمي للنزاعات ، تاركا الخطة السابقة الخاصة بإقامة نظام شامل للتحكيم.

تضمنت خطة ولسن مقترحات كثيرة عن نظام الانتداب . تناولت مقترحات أخرى توفير ظروف إنسانية للعمال . وعلى جميع الدول التي ترغم الدخول للعصبة أن تتعهد بمعاملة اقلياتها القومية والعرقية والدينية معاملة طيبة أساسها العدل والمساواة . ولا يجوز لأية دولة انتهاك أحكام هذه الأتفاقيات والالتزامات . وبأمكان العصبة جزئيا أو كلياً أن تغلق البحر العالي بوجه القوة المعتدية . لا معاهدة ملزمة ما لم تكون قد نشرت ، تأكيد الطابع العلني لا السري للمعاهدات انسجاما مع النقطة رقم واحد من نقاط ولسن الأربع عشرة[٢١] . وأخيرا اشترط الرئيس أن تنه الدول الموقعة ممارساتها التي تقوم على أساس التمييز في العلاقات الاقتصادية والمالية .

وعقد سسل ثلاثة اجتماعات مطولة مع الخبير القانوني الأمريكي ديفيد هنتر ملر بدأت يوم ٢١ كانون الثاني (يناير) . تبادل الأثنان الآراء وحاولا بجد تضييق فجوة الخلافات بينهما . وعلى الرغم من قناعة سسل بأن طموحات ولسن بشأن العصبة غير مرتبة بشكل جيد وناقصة وفشلت في أن تعبر عن نفسها بنجاح، الا أنه حرص على الرغم من ذلك على الوصول إلى أتفاق . وبالفعل تم التوصل إلى اتفاق يوم ٢٧ كانون الثاني (يناير) بعد اجتماع استغرق أربع ساعات بين سسل وملر ، تناول تنقيح خطة ولسن للعصبة ، التي صارت فيما بعد الأساس للميثاق الذي استكمل صيغته بالتعديلات البريطانية ، التي أجرى عليها سسل والوفد البريطاني الكثير من التعديلات ، منها أن تصميم ولسن للمجلس يقوم على أنه يضم ، فضلاً عن الدول الكبرى المنتصرة ، دولاً متوسطة وصغيرة ، ولكن

البريطانيون نجحوا في جعل الرئيس ولسن يتخلى من مقترحه هذا ويقبل الصيغة البريطانية التي اقترحت إقامة مجلس مقصور على الدول الكبرى فقط . بل أن سسل لم يتردد بالإفصاح عن وجهة نظره حين قال بأن الدول الكبرى يجب أن تدبر العصبة[٢٢].

وفي ١ شباط (فبراير) ١٩١٩ التقى سسل هيرست ، المستشار القانوني للوفد البريطاني لمؤتمر السلام ، بملر . وفي جلسة مطولة استمرت حتى الساعات الأولى من صبيحة ٢ شباط (فبراير) نجحا في أكمال النص الذي صار أساسا لمشروع ميثاق التابعة لمؤتمر السلام عملها[٢٣] . ويمكن القول أن المقترحات البريطانية ، على الرغم من التعديلات التي أدخلها ملر ، ظلت هي المسيطرة على المشروع الذي تقرران يقدم بعد إقرار ولسن ولويد جورج له ، إلى لجنة إعداد ميثاق العصبة الخاصة بمؤتمر السلام . ولكن بعد أن قرأ ولسن المشروع النهائي وجد أن فيه الكثير من التضحية الأمريكية للمشروع البريطاني شكلاً ومضموناً ، لذا أمر بإعادة صياغة خطته الآنفة الذكر ليكون اساس مشروع الميثاق الذي تتدارسه لجنة إعداد الميثاق التابعة لعصبة الأمم . ولكن هذا الموقف من ولسن أدى إلى احتجاجات – متوالية وقوية من لدن سسل وغيره ، مما حال بين الرئيس ولسن وبين تنفيذ ستراتيجيته في اللحظة الأخيرة ، ولاسيما بعد أن حذر هاوس ولسن بأن أغضاب سسل غير حكيم ، لأنه الشخص الأكثر حماسة بين أعضاء الوفد البريطاني لفكرة عصبة الأمم . وبعد لقاء متشنج بين ولسن وسسل ، قبيل أنفتاح الجلسة الأولى للجنة عصبة الأمم ، وافق ولسن على مضض بالسماح لمشروع هيرست – ملر ليكون الأساس لمحاضر اللجنة ومناقشاتها[٢٤] .

وهكذا أصبح مشروع ميثاق العصبة جهدا أنكلو – أمريكيا مزيجاً إضافته أصلاً جهود "جمعية عصبة الأمم" البريطانية التي كان يرأسها اللورد فيلمور ، و "جمعية عصبة فرض السلام" الأمريكية التي كان يرأسها الرئيس الأمريكي السابق

وليم هوارد تافت ، إذ يعود الفضل لهما في إعداد النموذج الأصلي لميثاق العصبة[٢٥].

اجتمعت لجنة إعداد الميثاق لأول مرة يوم ٣ شباط (فبراير) ١٩١٩ . ولم تبد الدول الأعضاء اعتراضا جدياً على مشروع هيرست – ملر البريطاني – الأمريكي[٢٦] . ولكن هذا لا يمنع من القول أن اليابان أكدت ضرورة المساواة العرقية ، وفرنسا على أن يكون للعصبة "أنياب" أي جيش دولي على أن تكون قيادته فرنسية للتصدي لأية هجمات المانية في المستقبل . ولكن الرئيس ولسن رفض كلا الرأيين او الموقفين[٢٧] . فضلاً عن رفض فكرة تحويل العصبة إلى حكومة عالمية تجاوز سلطاتها سلطات الحكومات الوطنية[٢٨] .

تركزت مناقشات اللجنة على عضوية المجلس التنفيذي . داف ولسن وسسل عن مشروع هيرست – ملر الذي دعى إلى أن تكون عضوية المجلس مقصورة على الدول الكبرى ، على أساس أنها التي تتحمل العبء الأكبر اقتصادياً وعسكرياً . ومن ثم فأن مسئوليتها هذه تخولها عضوية المجلس . وأنكر سسل أن يكون مبدأ المساواة بين الأمم ، على الرغم من أهليته ، عمليا هنا ، ولاسيما وأن جميع قرارات المجلس يجب أن تحظى بالإجماع . ولكن هذه المحاجات هاجمها بشدة ممثلو الدول الصغرى في اللجنة . وقاد بول هيمنز وزير خارجية بلجيكا الهجوم قائلاً أن استثناء الدول الصغرى سيفقد العصبة مصداقيتها ، ولاسيما وأن الدول الصغرى تشكل غالبية أعضاء العصبة . وحين ساند أورلاندو ، رئيس وزراء إيطاليا ، وبورجيه موقف الدول الصغرى ، وافق سسل وولسن على مضض على إعادة صياغة المادة المتعلقة بعضوية المجلس للسماح بدخول دول صغرى في عضوية المجلس .

وبعد حل المشكلة الخاصة بالعضوية ، ناقشت اللجنة الثالثة للجنة موضوع تحديد أعضاء المجلس التنفيذي . أتحد البريطانيون والأمريكيون والفرنسيون والإيطاليون خلف تعديل يعطي للدول الصغرى عضوين في المجلس . لكن هذا لم

تقبله الدول الصغرى . فسنج ، ممثل صربيا ، طالب بأربعة ، في حين طالب هيمنز بمساواة الدول الصغرى بالكبرى من حيث عدد الأعضاء ، ولكن سسل قاوم ذلك بشدة قائلاً أن مبدأ المساواة سيهدد بإقصاء دولة أو دولتين من الدول الكبرى من عضوية المجلس . أغضب هذا هيمنز الذي تساءل هل هذا يعني أن النية متجهة لإقامة حلف مقدس جديد ، مما دفع سسل إلى اقتراح تأجيل أو إرجاء حسم الموضوع . ولم يحسم الموضوع الا في جلسة اللجنة التاسعة يوم ١٣ شباط (فبراير) حيث تقرر أن يمثل الدول الصغرى أربع ، مما شكل هزيمة كبرى لسسل.

وبعد مناقشة محتويات المشروع الأخرى ، التي لم تر الكثير من الجدل والخلاف ، تم إقرار مشروع الميثاق يوم ١٣ شباط (فبراير) ليطرح في اليوم التالي على مؤتمر السلام . ففي ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٩ طرح ولسن مشروع الميثاق امام مؤتمر السلام . قرأ الرئيس مواد المشروع مادة مادة متوقفا هنا وهناك لأعطاء نبذة توضيحية[٢٩] . ومما قاله ولسن "أن هناك شعورا يسود بأن العالم لن يشعر بالرضا والحكومات فقط تقود هذه العصبة ، وإن قيادة الحكومات لهذه العصبة لن يضمن للشعوب أن المسؤولين الحكوميين لن يرتكبوا أخطاء سبق أن أرتكبوها . وأنه من المستحيل إقامة هيئة تمثل فيها جميع شعوب العالم البالغ تعدادها ألف ومائتي مليون نسمة ، إذ ليس من السهل إقامة مثل هذه الهيئة الكبيرة التي يجتمع فيها ممثلو هذا العدد الكبير من الناس ، ولكن هذا الشيء ممكن إذا مثلت كل حكومة شعبها ، ومثّل تلك الحكومة واحد أو أثنان أو ثلاثة أشخاص ، على أن يكون لكل دولة صوت واحد ... وأن مهمة العصبة ستكون حماية الضعفاء وختم ولسن كلمته بالقول "أن شيئا حيا قد ولد" داعيا الأمم التي مزقتها أتون الحرب إلى الأنضمام إلى العصبة وقبول ميثاقها "ميثاق الأخوة والصداقة"[٣٠].

أثر تقديم مشروع الميثاق ذروة مؤتمر السلام . لقد كان المشروع نجاحا بارزا لمفهوم المنظمة الدولية الذي تبناه كل من ولسن وسسل . وعلى الرغم من وجود خلافات في التفاصيل بين الاثنين ، إلا أن تلك الخلافات كانت تزول بسرعة لأنها لم تكن خلافات حول جوهر المفهوم بل على تفاصيل جزئياته في الأعم الأغلب . ولكن ليس من السهل إدراك كيفية استقبال الشعوب لذلك الميثاق ، بل وكيفية استقبال الحكومات له . فهل سيكون قبولا أم تعديلا أم رفضا ؟

اليب نشر مشروع الميثاق الكثير من المناقشات بين أنصار ونقاد المشروع. أما ولسن فقد غادر باريس يوم ١٥ شباط (فبراير) ١٩١٩ متوجها إلى الولايات المتحدة بعد جلسة مؤتمر السلام يوم ١٤ شباط (فبراير) ليواجه نقاده الأمريكان ويدافع عن مشروع الميثاق . ولكن الشهر الذي قضاه ولسن في وطنه شهد خلافات حادة بين الحلفاء على الكثير من المسائل . بما فيها مسألة العصبة نفسها . وحين عاد ولسن إلى باريس يوم ١٤ آذار (مارس) ١٩١٩ وعرف بما جرى أعلن أن ميثاق العصبة لابد أن يكون جزءاً لا يتجزأ من معاهدة السلام حتى لا يمكن التخلص منه بسهولة ، إذ أن نبذه يعني نبذا للمعاهدة ، مما يشعره بالاطمئنان أن العصبة قائمة دون أدنى شك . وأثار نشر المشروع في بريطانيا الكثير من المناقشات دعماً أو معارضة . ففي حين قالت جريدة مورننغ بوست Morning Post أن الأمن البريطاني يقوم على قوة الإمبراطورية البحرية ، توازن القوى القائم على التحالف بين الدول المنتصرة . فأن مشروع الميثاق أعده أناس مسالمون ومن أنصار ألمانيا ، ممن لم يدركوا أن مصير الأمة تقرر قوتها[٣١] . بل أن ونستن جرجل ، وزير البحرية (١٨٧٤-١٩٦٥/ ١٩١٧-١٩٢١) ، نصح بالتأني في قبول الميثاق قائلاً في مجلس العموم House of Commons يوم ٣ آذار (مارس) ١٩١٩ ، بأنه ليس من الممكن تخفيض القوات البريطانية لمجرد أن عصبة أمم قد ولدت . وواصل القول أن العصبة لا تزال تحت التجربة ، وعليها أن تتجاوز مرحلة التجربة حتى يمكن التعويل عليها والوثوق بها[٣٢] .

الهوامـــش :

* يؤشر التاريخ الأول سنوات الشخص المعني، والتاريخ الثاني سنوات توليه المنصب أو سنوات حكمه أن كان ملكا أو رئيس وزراء مثلاً .

1 - George, W. Egerton, Great Britain and the creation of the League of Nations . USA , The University of North Carolina Press , 1978 , P. 25 .

2 - Ibid. , P. 5 .

3 - Ibid. , P. 8 .

4 - Ibid. , PP. 11-12 .

5 - Ibid. , PP. 26-32 .

6 - Ibid. , PP. 3336 .

7 - Ibid. , PP. 42-43 .

8 - Ibid. , PP. 13-14 .

* الفابيون أعضاء الجمعية الفابية Fabian Society التي تأسست في أنكلترا سنة ١٨٨٣ على أيدي الكاتب الأيرلنـــدي الأشـــهر George Bernard Shaw ، ومؤرخ الحركة النقابية البريطانية سدني ويب Sidney Webb وزوجته بياتريس Beatrice . أسم الجمعية مشتق من اسم قائد رومـــاني هو Fabious الذي تقوم طريقته في الحرب على الكر والفر أو الـــهجوم الـــريع والانسحاب السريع ضد القوات التي تزيده حجما وعدة وعـــدداً . بمعنى أن شو وسدني ويب وزوجته قدروا أن النظام الرأسمالي البريطـــاني لا يمكن اسقاطه بضربة واحدة بل علـــى مراحـــل . توجـــهات الجمعيـــة اشتراكية ديمقراطية وضد العنف . بأندماجها مـــع الاتحـــاد الديمقراطـــي الاشتراكي Social Democratic Federation الذي أسسه وليم موريس William Morris وهنري هايندمن Henry Hyndman ســـنة ١٨٨١ وحزب العمال المستقل Independent Labour Party الذي أسسته كـير

هاردي Keir Hardie سنة ١٨٩٣ تأسس حزب العمال البريطاني British Labour Party سنة ١٩٠٦ . أنظر Carlton J. Hayes, A political and cultural history of Modern Europe, Vol. 2 (Shorter Revised) , New York , The Macmillan Company , PP. 343-344 ; Robert Ergang, Europe Since Waterloo, Boston . health and company , 1961 , P. 109 : Collins Concise Encyclopedia , London , Peerage Books . P. 199 .

9 - Egerton, Op. Cit. , P. 18 .

10 - Ibid. , PP. 22-23 .

11 - Ibid. , PP. 37-44 ; C.E. Black and E.C. Helmreich, Twentieth century Europe , New York . Alfred A. Knopf, 1967 , P. 71 .

12 - Egerton, Op. Cit. , PP. 52 , 61-62 .

13 - Ibid. , PP. 45 , 71-73 .

14 - Black and Helmreich, Op. Cit. , PP. 825-826 .

15 - Ibid. , P. 826 .

* عقد الحلفاء Allies اجتماعا غير رسمي يوم ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ضم الممثلين للدول الأوروبية الثلاث الكبرى (بريطانيا ، فرنسا ، إيطاليا) والولايات المتحدة في اليوم التالي أنضم لهم الممثل الياباني . تقرر تشكيل مجلس سمي بمجلس العشرة Council of Ten يضم ممثلين أثنين عن كل دولة من الدول الخمس الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى . ظل هذا المجلس القوة المحركة والموجهة للمؤتمر حتى منتصف آذار (مارس) ١٩١٩ . قرارات المؤتمر يتخذها في الواقع مجلس العشرة . ولكن دور اليابان فيه كان دوراً سلبياً . ومن أجل تسريع أتخاذ القرارات أنهي عمل المجلس في ٢٤ آذار (مارس) ١٩١٩ ليحل محله الأربعة الكبار

The Big four (الرئيس الأمريكي وردرو ولسن Woodrow Wilson ، رئيس الوزارة البريطانية ديفيد لويد - جورج - David Lloyd George ، ورئيس الوزارة الفرنسية جورج كليمنصو Georges Clemenceau ، ورئيس الوزارة الإيطالية فيتوريو أورلاندو Vittorio Orlando الذين أخذوا يعقدون جلسات خاصة . أنظر

Hayes , Op. Cit. , P. 635 ; Black and Helmreich , PP. 85-87.

16 - Egerton, Op. Cit. , PP. 110-111 .

17 - Ibid. , PP. 129-137 .

* ليون بورجيه (١٨٥١-١٩٢٥) رجل دولة فرنسي ومن أكبر المتحمسين لفكرة عصبة الأمم . حصل على جائزة نوبل للسلام لسنة ١٩٢٠ . تولى رئاسة الوزارة الفرنسية بين ١٨٩٥/١١/١ - ١٨٩٦/٤/٢١ . تولى عدة مناصب وزارية . عضو مجلس الشيوخ سنة ١٩٠٥ . وزير خارجية فرنسا بين ٣/١٤ - ١٩٠٦/١٠/١٩